تاريخ استقبال المقال: 2016/02/24 تاريخ قبول نشر المقال: 2016/05/10 تاريخ نشر المقال: 2016/09/20

الاستشراق الفرنسي ونشاطاته في الجزائر

الجانب الاجتماعي أنموذجا

أ. بركان بن يحي

جامعة عبد الحميد بن باديس – مستغانم – الجزائر

البريد الإلكتروني: berkanelamisse@gmail.com

ملخص:

لعب الإستشراق دورا مهما في احتلال الجزائر لأنهم رسل المهمات القدرة ولعب على جميع الأوتار من اجل استيطان الجزائر مدة طويلة وخاصة المجال الاجتماعي.

لقد أريد بالجزائر أن تكون أندلسا جديدة، أريد بها أن تنسلخ من جسم الوطن العرب ي الإسلامي، وأن تبتلعها الصليبية الأوروبية ومضى أكثر من قرن والمحاولات الجبارة لا تنسى لحظة ولا تكف، واستخدمت كل الوسائل التي لا تعرف البشرية أقصى منها ولا امكر منها ولا افتك منها.

ولكن الجزائر بدل أن تموت انتفضت حية بدلا من أن تنهار تماسكت وتجمعت وأعلنت وجودها بفضل الله ورجالاتها ولم يعرف بلد آخر من الشرق أو الغرب ما عرفته الجزائر من أساليب الإستشراق لم تعرفه حتى الأندلس وحتى فلسطين .

الكلمات المفتاحية: الاستشراق، الصراع الطبقي ، الصراع الحضاري ، سيسيولوجيا.

French Orienalism and activities in Algeria

Abstract:

Orientals played an important role in colonizing Algeria since: a dirty mission to occupy Algeria for a long time, especially in the social domain.

Algeria was targeted to be a new Andalusia , and to be sloughed from the big Islamic Arabic nation, and to be swallowed up by the European crusade different and most destructive and cruel means had used to kill humanity

But instead of dying, Algeria revolted, collaborate and then announced existence, thanks to Allah, and its brave men no other country from the east or the West has known sue means of Orientals even in Andalusia Palestine.

Keywords: Orientalism, Class struggle, Clash of civilization, Sociology .

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

مقدمة :

إن الإستشراق ظاهرة معقدة شكلتها عوامل عدة ، دينية ، استعمارية و سياسية و اقتصادية و ثقافية حضارية و هو اتجاه فكري يعني بدراسة حضارة الأمم الشرقية بصفة عامة و حضارة الإسلام بصفة خاصة وقد كان مختصرا في بداية ظهوره على دراسة الإسلام و اللغة العربية ثم اتسع ليشمل الشرق بلغته و تقاليده و ادابه فالمستشرقون هم علماء الغرب الذين اعتنوا بدراسة الإسلام و اللغة العربية و لغات الشرق و أديانه و آدابه[1].

ولقد لعبت فرنسا دورا كبيرا في كل هذا على اعتبار أنها في يوم من الأيام كانت قبلة المستشرقين في عهد دي ساسي ماسنيون و غيرهم[2].

ولعب دافع الاستعمار دورا مهما إلى جانب حاجة النهضة الأوروبية إلى الثروات إضافية دفعت الدول الأوروبية و على رأسها فرنسا في التفكير في التوسع و احتلال دول أخرى نظرا لما تتوفر عليه من مقومات ومعنوية و كنوز حضارية.

فعلى أرضه شيدت حضارات و ثقافات وولدت علوم وفنون و من اجل ذلك عنيت فرنسا الاستعمارية لحركة الإستشراق في كل صغيرة و كبيرة ، فكان ملوكها و زعمائها و قناصلهم عمدا لها و هذا ما جسده الاستعمار الفرنسي أثناء احتلاله للجزائر حيث بذل المستشرقون كل مجوداتهم الفكرية و المادية في سبيل تغلغل في وسط المجتمع الجزائري و التحكم فيه و السيطرة عليه فاتجه إلى الفرد و الجماعة و الأخلاق و التعليم و اللغة

و الآداب و الفنون و العلوم و الآثار و الدين كل ما يخص الحياة الاجتماعية للمجتمع الجزائري من اجل إنتاج مجتمع على طريقة الغربية تحت عنوان الإدماج الجزائري الفرنسي [3] و من اجل ذلك أولت السلطات الفرنسية اهتماما بالمستشرقين للفهم الحقيقي المجتمع الجزائري و راحت من اجل ذلك تعمل على خلق سلوكات غريبة عن المجتمع الجزائري و جعلت السموم تنتشر في المجتمع الجزائر ي ، أفسدت أولا اللغة ثم التعليم ثم العادات و التقاليد و خربت الثقافة و هذا اكبر جريمة التي لا تغتفر لان احتلال الأرض زال بزوال فرنسا للاحتلال الأرض و لكن تخريب الثقافة و اللغة والدين مازالت الجزائر تدفع ثمنه إلى حد الساعة[4].

و قبل أن نخوض في نشطات الإستشراق الفرنسي في الجزائر .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أولا: نعرف الإستشراق

- **تعريف اللغوي** : الإستشراق مصدر من الفعل السداسي استشرق و أصله (ش ر ق) و لألف و السين و التاء إذا أسبقت الفعل الثلاثي أفادت الطلب و على هذا فا لاستشراق إي طلب الشرق [5] و الشرق أو الجهة التي تشرق منها ، و المشرق مثلا ، و في النسبة : مشرقي – بفتح الراء و كسرها) والشَرْقة والمَشْرقة (مثلثة الراء): موضع القعود في الشمس بالشتاء. وتشرَّق: أي جلس فيه. وأشْرَق: دخل في وقت شروق الشمس، وأشرقت الشمس: أضاءت[6] .

وعلى هذا فمعنى الكلمة يدور حول: جهة الشروق، والضوء (والذي هو يتبادر إلى الذهن عند ذكر الشمس). فسمي الإستشراق بذلك لأن أهله (الغرب) طلبوا علوم المسلمين والعرب، وبحثوا في الإسلام،

- **اصطلاحا** : اختلفت معاني الإستشراق تبعاً للهدف الذي وجّه أصحابه، ومن هذه التعريفات والمعاني للاستشراق ما يلي:

هو أسلوب غربي لمعرفة العالم الشرقي عن طريق البحث أو التخصص في الشرق، بدراسة علوم وآداب وديانات وتاريخ شعوب الشرق، للسيطرة عليه.([7])

أما تعريف الموسوعة الميسرة فهو : "تعبير يدل على الاتجاه نحو الشرق، ويطلق على كل ما يبحث في أمور الشرقيين، وثقافتهم، وتاريخهم. ويقصد به: ذلك التيار الفكري الذي يتمثل في إجراء الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، والتي تشمل حضارته وأديانه، وآدابه، ولغاته، وثقافته. ولقد أسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن الشرق الإسلامي بصورة خاصة، معبراً عن الخلفية الفكرية للصراع الحضاري بينهما.([8])"

نشأة الإستشراق الفرنسي : نشأة العلاقة بين فرنسا والعالم الإسلامي مند فتح المسلمين لمقطعات فرنسية ثم استمرت أثناء وجود المسلمين في الأندلس ، و في الحروب الصليبية تم إنشاء طرق للتجارة ، وتبادل السفراء ثم احتلال شمال إفريقيا ، و حملة نابليون على مصر ، وفتح قناة السويس و الانتداب الفرنسي في سوريا و لبنان و كانت تلك العلاقات متعددة متنوعة متعاقبة اختلط فيها الحرب و السلم و التجارة و الثقافة جميعا [9]

عام 1553م قام فرانسوا الأول بالمحاولات الفرنسية الأولى لتدريس العربية واللغات السامية الأخرى حيث أنشأ معهداً بباريس، وأعدّ فيه منبراً لتدريس العربية واليونانية واللغات السامية الأخرى، ثم جُدد بعد ذلك بداية القرن السادس عشر الميلادي([10]).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد ضمت فرنسا أول ترجمة فرنسية لمعاني القرآن في العصور الوسطى، وهي ترجمة قام بها انجليزي وألماني، واستعانة باثنين من العرب، وتمت عام 1143م، برعاية (بطرس المحترم) رئيس دير كلوني بجنوب فرنسا وهو من أهم الأديرة في أوروبا. وكانت ترجمة رديئة كثيرة الأخطاء.

مظاهر النشاط الإستشراقي الفرنسي:

فقد تجلّى الإستشراق الفرنسي في مظاهر عديدة، ويمكن إجمال المؤسسات العلمية التي أنشأتها فرنسا في الأمور التالية:

أولاً: كراسي اللغات الشرقية :

ثانياً: المكتبات الشرقية: في فرنسا مكتبة باريس الوطنية، 1654م. و كانت تحتوي على ستة ملايين كتاب ومخطوط، منها نحو 7000 مخطوط عربي.

-مكتبات الجامعات والمعاهد:

-المكتبات الخاصة:

مكتبات شمالي أفريقيا:

ثالثاً: المطابع الشرقية: بدأت الطباعة الشرقية بالعبرية في باريس عام 1519م،

رابعاً: الجمعيات الإستشراقية:

خامساً: المجلات الش رقية: و هي كثيرة

سادساً: المجموعات الشرقية:

خصائص الإستشراق الفرنسي:

تميز الإستشراق الفرنسي بسمات عديدة ذكرها أحد الباحثين في شؤون الإستشراق و هو ابراهيم نملة في كتاب الإستشراق و المستشرون[11]

تتركز دراسات المستشرقين الفرنسيين حول ثلاثة محاور: المحور الديني، والمحور السياسي، والمحور الاستعماري.

للاستشراق الفرنسي أثر كبير في توجيهات الإستشراق في العالم.

معهد اللغات الشرقية أهم مكان ترعرع فيه الإستشراق الفرنسي .

كان لجامعة السوربون أثر واضح في تنشيط الدراسات الشرقية في فرنسا .

لتأسيس المعاهد والمدارس والمراكز الثقافية ساعد على فرنسية هده المجتمعات في بلاد .

يمتاز بالتخصص

اعتماد الإستشراق الفرنسي على الرهبان و القساوسة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اهتم الإستشراق الفرنسي على المجتمعات العربية و الإسلامية

يعتبر مرجعية الأوروبية في الإستشراق.

ترك بصماته الواضحة على التعليم في أفريقيا وخاصة في الشمالها .

اهتم كثيراً بالآثار

كان الإستشراق ممزوج بالاستعمار و التبشير مما جعله أكثر تعصبا ضد العرب و الإسلام مما جعل الجزائر تعاني كثيرا و خاصة على مستوى الحياة الاجتماعية لأنه كان استدمار لكل شيء [12] استدمار للأرض و الإنسان ماديا و معنويا و الفرد هو لبنة الأولى لبناء المجتمع و تنشيط الحياة الاجتماعية و هذا ينعكس بالسلب على الحياة الاجتماعية في الجزائر ، رغم الجهود المبذولة من طرف الدعاة و رجالات الإصلاح و المثقفين و الفكر لزلنا نصلح ما أفسده الإستشراق الفرنسي لان اكبر جرم هو إفساد الهوية و كل ما يبث الصلة للحياة الاجتماعية لأنه بحق جريمة ضد ظاهرة أو نشاط بكل المقاييس . و ككل ظاهرة أو نشاط أو حركة لها انعكاسات على المجتمع و لها اثأر على الحياة الاجتماعية و خاصة إذا علمنا إن الإستشراق يعمل على إضعاف المجتمعات العربية و الإسلامية ومنها المجتمع الجزائري الذي نحن بصدد تشخيص النشاط ، العدائي الذي لاحق بهي من طرف الإستشراق الفرنسي و الذي مهدا الاحتلال الجزائر و افسد المجتمع الجزائري يبث السموم في آدابه و نشاطه التعليمي لان لا بدون التعليم على اعتبارها من أساسيات الحياة الاجتماعية فنجد الأعداء أو الخصوم إذا أرادوا إفساد نالوا من مجتمع ما افسدوا آدابه و إبداعه ، فأصبح سمج المزاح فاسد الطبع و العكس صحيح لان الآداب و التعليم هو صورة ذلك المجتمع و عندما نقول الآداب و التعليم نقول اللغة و التي ركز عليها الفرنسيون و نشاطه على ضرب اللغة التي تمثل الفكر و الهوية و الحضور الاجتماعي للمجتمع .

الآثار الاجتماعية للاستشراق الفرنسي في الجزائر:

تعد الآثار الاجتماعية من أخطر الآثار التي ما زال تنحر جسد المجتمع الجزائري و الذي مازال الإستشراق الفرنسي حريصاً على تحقيقها في الجزائر و العالم الإسلامي، فقد درس الإستشراق الفرنسي المجتمع الجزائري دراسة معمقة ، معرفة وثيقة حتى يمكنهم أن يؤثروا فيها بنجاح. وإن دوافعهم لهذا تنطلق من النظرة الاستعلائية على إن الغرب هو يعد المجتمعات الأرقى في العالم. وقد استطاع الاستعمار بالتعاون مع الدوائر الأخرى من الاستعمار في إحداث تغيرات اجتماعية كبيرة في البلاد حيث نجده في الجزائر مثلاً حطم الاستعمار الملكيات الجماعية وذلك لتفريق اتحاد و شمل القبائل التي كانت تعيش في جو من الوئام والتلاحم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما نجد هـ عمل في الجزائر وإلى حد لان على تشجيع النزاعات الانفصالية، حيث نجده قسم الشعب إلى عرب وبربر، وتعليمهم اللغة الفرنسية. وقد أنشأت الحكومة الفرنسية الأكاديمية البربرية في فرنسا لتشجيع هذه النزعة.

ومن الجوانب التي نشط فيها الإستشراق الفرنسي في المجتمع الجزائري الحياة الأسرة آو بنية الأسرة وعلاقة الرجل والمرأة عمل على تشويه مكانة المرأة في الإسلام، ونشر المزاعم عن اضطهاد الإسلام للمرأة وشجع الدعوات إلى التحرير المزعوم للمرأة التي ظهرت في كتابات قاسم أمين والطاهر الحداد ونوال السعداوي وهدى الشعراوي وغيرهم.

مزقي يا ابنة العراق الحجابا واسفري فالحياة تبغي انقلابا [13]

بل يذهب يقول في قصيدته

تركوكِ بين عباءةٍ وشقـاءِ مكؤوبةً في الليلة اللـــيْلاءِ

مغلولةَ الأيدي بأســـوأ بقعةٍ محفوفةً بكتـــائب الأرزاء

دفنوكِ من قبل الممات وحـبَّذا لو متِّ قبل تفاقـــمِ الأدواء [14]

و نجد أن لهذا كله قيض الله رجال أمثال رجالات العلماء المسلمين و بعض المصلحين أمثال الهادي و السنوسي و رمضان حمود ... الخ.

لدفاع عن المرأة و الأسرة على اعتبارها اللبنة لبناء مجتمع يتميز بمناعة قوية لصد السلوكيات الهدامة و إقرار حياة اجتماعية أصيلة فالهادي سنوسي قال يومها قصيدة تحت عنوان المرأة الجزائرية :

من أنت ؟ قالت إنني عربية

ويرى الدكتور محمد خليفة إن موقف الإستشراق من المرأة المسل مة و الجزائرية نابغ من وضع المرأة العربية أنها نموذج يتحدى به إلى جانب دعوة المرأة على التمرد داخل الأسرة و على النظام و الخروج باسم الحرية لان المرأة إذا استعملت في الخير الأم مدرسة إذا أعدتها أعدت جيلا طيب الأعراق و إذا استعملت في الشر أتت على الأخضر و اليابس.

الإستشراق الفرنسي و ضرب اللغة العربية:

إن اللغة هي احد مقومات الحياة الاجتماعية و لهذا عمد على ضرب اللغة من اجل طمس الهوية و الوجود للمجتمع الجزائري [15] و قبل الخوض في ذلك نرجع على جناح السرعة إلى ما قبل الاستعمار و نتكلم عن واقع اللغة و التعليم و النقاش داخل المجتمع الجزائري ، كان واقع الثقافي الجزائري قبل 1830 مزدهرا في ظل ثقافة امازيغية عربية إسلامية فلم يكن دين الإسلام دين عبادة فقط بل كان نظام للعلاقات الاجتماعية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

و هو مصدر لهذه الثقافة ولم تكن الأمية سائدة في أوساط الجزائريين و قد شهد هذه الحالة رجالات (**valzz**) سنة 1834 قائلا " إن كل الجزائريين تقريبا يعرفون القراءة و الكتابة ، و في كل قرية توجد مدرستان[16] و لكن بعد الاستعمار استهدفت سلطات الاستعمار هذه الوضعية و خربت كل تلك البنية الاجتماعية و الثقافية و حولت البنايات العلمية إلى أشياء أخرى

حيث ارتكزت هذه السياسات الاستعمارية الإستشراقية على ثلاث أسس – الفرنسية – التنصير – الإدماج كلهم انصبوا علي محاربة التعليم و الثقافة العربية ، الإسلامية حيث استهدفت المساجد و المدارس و الزوايا و كتاتيب و على سبيل المثال لا الحصر قسنطينة عاصمة الشرق كان فيها 80 مدرسة و 07 معاهد لم يبقى إلا 30 مدرسة هذا في سنة 1837 و عنابة كان فيها 39 مدرسة 37 مسجدا جامعا و زاويتان لم يبقى منها سوى 03 مدارس [17].

و استعملت قرارات و قوانين من اجل ذلك القرار الصادر 1893/10/18 القاضي بوجوب الحصول على رخصة لفتح مدرسة ، قانون 1904 الذي يقضي منع الجزائريين فتح أية مدرسة لتعليم العربية و القرآن [18].

و بعد ذلك عملت على نشر اللغة الفرنسية و ذلك لضمان خطة و إدماج الجزائريين في ثقافة فرنسا و ديانتها نهائيا.

الإستشراق و واقع الحياة الثقافية في ضوء احتلال الجزائر:

إذا كانت جرائم الاستعمار قضية سياسية و قانونية في ظاهرها فإنها قضية اجتماعية و ثقافية في الأساس لان انعكاساتها اجتماعية بالدرجة الأولى و يمكننا أن نلخص ذلك في عدة نقاط [19]

- أخذت تدعوهم (أي الشعب) إلى الحملة الفرنسية و الإدماج في الوطن الفرنسي .
- ظهور شعار الجزائر فرنسية ترتب عنها إنشاء و بناء مدارس الفرنسية في أطوارها المختلفة لتكون الإدارة الفعالة في تغيير الطابع العمراني و الثقافي لشعب الجزائري
- تشجيع اللغة العامية من اجل ضرب الوحدة و زرع الطائفية .
- نشر اللغة الفرنسية بين أوساط المجتمع الجزائري عنوة لمحاربة اللغة العربية و القران التي تدعو إلى الجهاد والحرية و الكرامة و عدم الظلم .
- و كذلك من الظلم الذي تعرض له أبناء هذا المجتمع و هو كتابة اللغة العربية بحروف اللاتيني بدعوة وصولها سريعا إلي الأزمات.[20]
- ونجد مفدى في الياذته يصور لنا الأثر الواضح التي تركه الاحتلال داخل المجتمع الجزائري و هذا لعب فيه المستشرقون دورا مهما .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول مفدى في أبيات من الإلياذة يصور لنا الجانب الاجتماعي عدة ظواهر منها ظاهرة التخنث و الانحلال و ظاهرة التنصير و شرب الخمر و إتيان الفواحش بعدما كان المجتمع الجزائري من قبل مجتمع محافظ غيور على دينه و إسلامه [21]

وشاع الشذوذ وذاع الحشيش***** وأصبح للموبقات وسيله

وتقرف آنافنا القاذورات فلم***** تُجد في صرفها أي حيله [22]

و قوله كذلك

ومستهترون أضاعوا الثنايا***** وشاع تنكرهم للسجايا

وقالوا: التقدم خلع العذار،***** وهتك العفاف، ونشر الخطايا

وجدل الشعور ولبس الحليّ***** وحمل القلائد مثل الصبايا

ويتفخرون بشرب الخمور *****وفي الكأس ترسب كل البلايا

تخنث هذا الزمان ودبت *****خنافيس "هيبي" تشيع الرذيله

ونافسَ آدم حوّاءه دلالا، *****وغنجًا، وذبح فضيله [23]

منهج الإستشراق في الجزائر:

- الغزو الفكري للمجتمع الجزائري :

من سمات المميزة لدعاة التخريب في الفكر في المجتمع الجزائري ،رأيهم متواصل لإقحام مصطلحات غريبة عن المجتمع الجزائري و فكره و تاريخه ، وهي مصطلحات مستمدة في المقام الأول من تاريخ المجتمع الفرنسي و تطوره و تمثل في الوقت ذاته النزعة العلمانية التي سادت المجتمع فيما بعد و نظرة إلى هذه المصطلحات تكفي لتحديد مصدرها ، فعلى سبيل المثال لا لحصر نجد بعض المفكرين العرب و الجزائريين [24].

مصطلح الله غالب أو التواكلية التي يرددها بعض فئات المجتمع (بمعنى الإيمان بالقضاء و القدر) يجعل المجتمع مسلم إلى حيثيات الاجتماعية و عدم محاول حتى تغيرها مصطلح الاغتراب الزمني (بمعنى الالتزام بالقران و السنة) و هذا يعد تخلف كذلك نجد أشاعت مفردات داخل المجتمع الجزائري الاصوله الدينية أو الظلام الدامس ، بمعنى البعث الحضاري و نجد كذلك تسمى الدعوة الغوغائية و كذلك نجد أن الإستشراق الفرنسي شجع بعض المصطلحات من اجل جعل المجتمع ليعيش في صراع داخلي مع بني جنسه و إلا يركز على قضايا حساسة تجعله في المقدمة مع المجتمعات الراقية ومن بين هذه المصطلحات التي جعلت تنظيمات و منظمات الاجتماعية في الجزائر تعيش تطاحن و نفور مما يشجع الفرقة و عدم الوحدة التي يطمح إليها العدو مصطلح "الصراع الطبقي " إلى جانب تسرب بعض المصطلحات إلى قاموسنا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

السياسي[25] من خلال تأثير بعض الباحثين لنهج المستشرقين مثل " الحكومة الدينية " أو " الحكومة التيوقراطية " ووصف الحضارة الإسلامية و العصور الزاهية بمصطلح عصر الظلام و الجهل و إنها عصور تختلف و سموها عصور وسطى[26]

حتى لا يرجع المجتمع الجزائري إلى الأصل لأنه في فترة من الفترات عاش الرقي تحت هذه الحضارة و عاش الازدهار عندما كان يتحكم في المياه البحر و البر أيضا إلى جانب هذا كله عمل المستشرقون إلى ضرب هوية المجتمع حتى يبقى بدون هوية ويظل تائه في ظلمات التخلف والجهل ، تشجع الزوايا التي كانت تخدم تحت إمرة الاستعمار وحطموا الزوايا التي كانت تعمل ضدهم إلى جانب إعطاء الكلمة إلى رجالات الطرق الصوفية والعمل على غرس الخرافات والخزعبلات وبعث الأساطير لأن للمستشرقين رأي معروف في السنة والأحاديث والقرآن مما راحوا يلبسون على المجتمع عن هـ ذين المصدريين المقدسين للجزائريين [27]

يقول الشيخ أبو زهرة عن هذه الحقائق " كان تأثر وتأثير الإستشراق ان حاولوا تأويل القران فراحوا يغيرون عليها بضروب من التأويل إن شئت ا تسميها عبثا بمعاني القرآن وان شئت تسميها إفسادا للغة [28] " وبالتالي جعل الشعب الجزائري يعيش اغتراب على مستوى القيم والمبادئ والهوية ومما يسبب خلل في الحياة الاجتماعية.

اللغة والإستشراق :

إن اللغة بوصفها ظاهرة اجتماعية وعنصر من مكونات الثقافة وبم أن اللغة ظاهرة حياتية اجتماعية صارت من أكثر الظواهر إنصافا لحياة الأفراد تخضع لمقاييس المجتمع ، وأعرافه ، وتقاليده ، وثقافته بل هي الطريق لكشف عادات المجتمع وتقاليد والمعرفية والحضارية [29] فنجد أن الإستشراق عمل على دراسة اللغة العربية في الجزائر واللغات الأخرى وتعليمها للأهالي عبر الجزائريين من اجل تحكم في خيرات البلاد ماديا ومعنويا ، وتقديم الدعم للاستعمار كمن اجل معرفة الحياة الفكرية والعقلية للمجتمع الجزائري ولهذا فكر الاستعمار الفرنسي في الجزائر في دراسة اللغة العربية وبعض اللهجات من اجل التحكم في البلاد والعباد وسخر إمكانات هائلة ورجالات الإستشراق لعبوا دورا مهما في ذلك.

المستشرقون وتعلم اللغة العربية للأوربيين :

عندما يذكر الاستعمار الفرنسي يتجلى في الأذهان موقفه من اللغة العربية ، وأكيد انه حارب هذه اللغة بكل الوسائل حتى عجم أهل الجزائر وخاصة المجتمعات في المدن وبسبة اقل في الأرياف وفرض الفرنسية لفرض عاداته وتقاليده ومسح المجتمع الجزائري لأن اللغة تمثل الفكر وضرب اللغة العربية هو ضرب كيان ووجود المجتمع الجزائري إما تعلم الفرنسيين هو من اجل فهم المجتمع وخباياه ودراية بطريقة تفكيره وبالتالي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يمكن التحكم فيه واستغلاله [30] . واستعمل الفرنسيين اللغة العربية لمصالحهم الاستعمارية وقبل كل هذا هناك تجليات تحكم هذه التجربة " المستشرقون واللغة العربية ونقلها " نتناولها باختصار :

الحملة الفرنسية على الجزائر وقعت بعد ثلاثين عام من بعد الحملة على مصر وهي حملة كان لها اثر على المشرق ونجد أن الفرنسيين استفلدوا من تجربتهم في مصر من عدة نواح ، وخاصة ما يتعلق باللغة العربية إن المترجمين اللذين شاركوا في حملة على مصر كانوا رجال مشارقه من مصر وسوريا ولبنان ورجال أوربيين وهم أنفسهم ترجموا للجيش بورمون في الجزائر [31].

نجاح الحملة الفرنسية وعملت التوسع ونشأة الإدارة الفرنسية واستيطان ألاف الأوربيين كل ذلك جعل الفرنسيين يتعلموا اللغة العربية في الجزائر وهنا بدأ النشاط الفعلي للمستشرقين مهدوا لذلك عن طريق الرحلات الاستكشافية والبعثات العلمية لدراسة الجو الاجتماعي النفسي والاجتماعي الذهني للسيطرة على المجتمع الجزائري .

لويس برنيه ودوره في الحياة الاجتماعية والتعليمية في الجزائر للأوربيين:

المستشرق لويس برنيه هو من مواليد مونتيغري montegres سنة 1814م اشتغل في الطباعة أول الأمر ثم شغف باللغات الشرقية وكان قد تولى كرسي العربية في مدينة الجزائر سنة 1836 إلى وفاته 1869[32] وشارك في مشاريع عدة علمية لاكتشاف المجتمع الجزائري ، كما انه اخرج أفواج من المترجمين (العسكريين والقضائيين) والمدرسين اللغة العربية في الجزائر ، وكان أول من شجع العربية العامة لغاية ، وهو ضرب اللغة الفصحى وأول عمل لبرينيه هو بدء الدروس العامية [33] وجاء ذلك لهدف وهو تعريف الاوربيين المستوطنين بمبادئ اللغة أو اللهجة العامية لأدراك وفهم الحياة المجتمع الجزائري وقال إن كل فرد من الفرنسيين يشعر بضرورة توصيل حاجاته إلى الاهالي بدون وسيطة .وقسم نشاطه تعليمي إلى قسمين قسم خاص باللهجة الجزائرية من خلال توضيح تعابيرها الشائعة واستعمالها ودربه الساميين عليها .

وكانت حصصه مقدمة إلى ثلاث حصص للتدرب على العربية الدارجة .

وقد افهم الفرنسيين كلهم على تعلم اللغة العربية لفهم ومعرفة الشعوب الأخرى .

وان اللغة العربية ليست وسيلة اتصال بالنسبة لفرنسا بعالم الأهالي (الجزائيين) فقط بل حتى المجتمعات الإسلامية الأخرى.

إن دور برنبيه في ترويج اللغة العربية مهمة اختر لها وكان عليه إن ينفذها بدقة ، ولأنه بذلك يحقق أهداف الادراة الاستعمارية .

ونختم هذا العنصر اللغة العربية في الجزائر و دور الإستشراق في ضربها لان ضربها هو ضرب المجتمع الجزائري بتعليق المصلح و العلامة عبد الحميد ابن باديس بقوله وردا عن المستشرق ماسينيون حول اللغة العربية عندما كان ماسينيون في طريقه إلى مصر لحضوره دورة مجمع اللغة العربية [34]

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خاتمة:

و من خلال هذه الجولة القصيرة نستخلص أهم نتائج الإستشراق و التخريب الاجتماعي للمجتمع الجزائري :

انتشار الجهل و الأمية بشكل لا مثيل له بحيث ورثة الحكومة الجزائرية وضعا ثقافيا و اجتماعيا مزريا .

التشكيك في هوية الشعب الجزائري من خلال ازدواجية الحصة الثقافية نظرا الازدواجية اللغة .

هجرة كثير من المثقفين إلى الخارج خاصة المشرق العربي أي كانت الضغوط الثقافية العربية اقل .

ضياع كثير من المصادر و المخطوطات التي تعد من أهم المصادر الاجتماعية التي استولى عليها المستشرقون.

تشجيع البدع و الخرافات لتكون عن الفكر العلمي الواعي

و مازلنا لحد الآن نعاني من الهزات الارتدادية كهذا التخريب المادي و المعنوي الذي تعرضت له الجزائر .

الهوامش:

[1] محمد فتح الله الزيادي ، الإستشراق أهدافه و ووسائله ، دار قتيبة ، دمشق ، ط1 20025 م ، ص 41

[2] عبد الرحمن بدوي ، موسوعة المستشرقين ، دار العلم للملايين ، ط3 سنة 1993 ،ص 101 .

[3] مذكرة تخرج ماستر ، بركان بن يحى ، الإستشراق الفرنسي و نشاطه في الجزائر ، لويس بروني أنموذجا ، ص2 سنة 2013 -2014

[4] عيون البصائر لمحمد البشير الإبراهيمي ، البصائر (2) ع 174 ، 1951/11/05 ص 1.

[5] محمد فتح الله الزيادي ، الإستشراق أهدافه و ووسائله ، دار قتيبة ، دمشق ، ط2 2002 م ، ص 17 .

[6] قاموس المحيط مادة (ش.و.ق) ص1158 ، المصباح المنير مادة (ش.و.ق) 1/310-311

[7] محمد فتح الله الزيادي ، الإستشراق أهدافه و ووسائله ، دار قتيبة ، دمشق ، ط2 2002 م ، ص 14 و ما بعدها .

[8] حمد امين حسن محمد بن عامر المستشرقون و القران الكريم ، دار الأمل ، أربد ، ط1 2004 ، ص 11 و ما بعدها .

[9] نجيب القيقي ،المستشرقون ، دار المعارف ، القاهرة دون تاريخ ، نشر 1/138 .

[10] عبد الله الغليان ، الإستشراق بين الإنصاف و الإجحاف ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط1 ، 2003 ، ص 78 .ابو القاسم سعد الله ، أبحاث و أراء في تاريخ الجزائر ، دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، سنة 1996 ، ص 17 .

[11] الطيب بن إبراهيم ، الإستشراق الفرنسي و تعدد مهامه خاصة في الجزائر ، دار النشر المنابع لنشر و التوزيع ، الجزائر ط 1 ، سنة 2004 .

[12] صالح خرفي الشعر الجزائري ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ، سنة 1984 ، ص 180.

[13] نفس المصدر ص 181 .

[14] شعراء الجزائر في العصر الحاضر ، ج1 ، ص 125 .

[15] الجزائر و معركتها التالوت المدمر (النصر و الإستشراق و الاستعمار) ، دار مختار بن قويدر ، دار الكشاف لنشر و الطباعة و التوزيع ، ط1 -2003 ، ص55 .

[16] عثمان سعدي ، الجزائر في التاريخ من العصر القديمة و حتى سنة 1945 ، دار الأمة ،ط1 -2011 ص 96 .

[17] المرجع نفسه ص

[18] المرجع نفسه ص

[19] رمضان جينوني ،موقع منتدى رحاب الكلمة مدونات الأعضاء ، ص 1 5

[20] مولود قاسم ايت بلقاسم عن التلفزيون الجزائري ، محاضرة في سطيف سنة 1985 ، جرائم الاستعمار الثقافية .

[21] نسيمة زمالي قراءة في اليادة الجزائر لمفدي زكرياء ، دار الهدى ، عين مليلة ، د ط 2002 ، ص 22 .

[22] مفدي زكرياء ، إلياذة الجزائر ، دار الموقع لنشر المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الرغاية الجزائر ، 2004 ، ص 96 .

[23] المصدر نفسه ص 96 .

[24] فؤلد زكريا ، الصحوة الاسلامية في ميزان العقل ، مصدر سابق ، دار الكتاب للنشر ، ص 35 إلى ص 78 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

[25] محمد الخير عبد القادر ، الاسلام و الغرب دراسة في القضايا ، الفكر المعاصر ، دار الجيل ، بيروت ، ط 1 ، سنة 1991 ، ص 136 .
[26] فؤلد زكريا ، الصحوة الاسلامية ، ص 47 -48 .
[27] محمد الخير عبد القادر ، المصدر نفسه ص 141 .
[28] محمد الخير عبد القادر ، المصدر نفسه ص 142 .
[29] ينظر علم اللغة الاجتماعي ، مدخل 216-217 .
[30] د/ أبو القاسم سعد الله أبحاث و أراء في تاريخ الجزائر الجزء 4 دار الغرب الإسلامي ، سنة 1996 ، ص 43 .
[31] الكونت دي بور سون كان وزيرا للحربية في عهد شارل العاشر و قاد حملة احتلال الجزائر .
[32] عبد الرحمن بدوي ، موسوعة المستشرقين ، دار العلم الملايين ، لبنان ط3 ، ص56 .
[33] د/ أبو القاسم سعد الله أبحاث و أراء في تاريخ الجزائر،ص49 .
[34] جريدة البصائر العدد 20يناير 1939 ، عبد الحميد ابن باديس .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com